تطور الدراسات الميدانية في "سوسيو–مهنية"الصحفيين: من وسائل الاعلام التقليدية إلى الوسائط الجديدة

أ. د. رضوان بوجمعـــــة
كلية علوم الاعلام والاتصال– جامعة الجزائر 3.

أ. يعقوب بن الصغيـــر

ب. طالب

باحث دكتوراه– الطور الثالث –، كلية علوم الإعلام والاتصال – جامعة الجزائر 3.

ملخص البحث

يحاول هذا البحث الذي يندرج ضمن دراسات "سوسيولوجية الصحفيين" إلى محاولة التوقف عند أهم التطورات التي عرفتها الدراسات السوسيو مهنية، في علاقتها بالبيئة الاجتماعية والتعليمية للصحفيين وارتباطها بالأداء المهني، حيث تنطلق هذه المحاولة أساساً بإبراز جملة من المؤشرات التي تبرز حاجة الدراسات الإعلامية والاتصالية إلى هذا النوع من الاشتغال المعرفي، وذلك بالاقتراب من الصحفي كجزء فاعل داخل بيئة اجتماعية وإعلامية معقدة.

هذا المسعى يدفعنا في الوقت ذاته، إلى تتبع تطور مسار البحث في هذا الموضوع – سوسيولوجية الصحفيين–، وكيف بدأت هذه الدراسات بإشكاليات سطحية تتعلق بالخلفية الاجتماعية والتعليمية إلى أن وصلت إلى طرح إشكاليات في العمق، وما علاقة هذه التطورات بتطور الوسيلة الإعلامية، من الوسائل الاعلامية التقليدية إلى الوسائط الجديدة للاتصال، حيث سنعرج في هذه المحاولة البحثية على أهم الدراسات التي أجريت في الموضوع، بدءاً بالدراسات الكلاسيكية التي بدأها باحثو علم الاجتماع في السياق الأمريكي إلى بعض الدراسات المعاصرة التي تمت في إطار أبحاث أكاديمية مستقلة، أو تلك التي أجريت من طرف مؤسسات وهيئات مختلفة.

الكلمات الدالة : الصحفي، المحيط الاجتماعي، المستوى التعليمي، رأس المال الثقافي،الأداء المهني، المردودية المهنية.

Abstract

This research which falls within the studies "sociology of journalists" tries to note that you will need communication thought to search on the subject of social and educationalenvironment for journalists and their relationship to professional performance, where this attempt launche dmainly by highlighting a number of indicators that we believe are compelling to justify the need for media and communication studies to engage in thiskind of knowledge, so as to approach the press as part of an actorwithin a social and media complexenvironment.

This quest leads us at the same time, to trace the development of the searchpath in thistopic - sociologicaljournalists - and how these studies began simple problomatiques related to social and educational background to bereached to put problems in depth, especially on the part of the digital and virtual media; such as the impact of this media professional side, told reporters. Where were view in this research en deavor display the most important studies on the subject, starting with the classic studies initiated by researchers in sociology America. arriving to some contemporary studiesc onducted in the frame work of an independent academic research, or those carried out by the various institutions and bodies.

Key words : thepress, the social environment, level of education, cultural capital, professional performance, cost-effective professional.

مقدمة

يُجمع الخبراء والباحثون المهتمون بحقل الاتصال والإعلام، على أن "القائم بالاتصال" لم يحظ بعد بالاهتمام العلمي الكافي، بالمقارنة مع باقي عناصر عملية الاتصال.[*] فإلى وقت قريب وإلى الآن، لا تزال هواجس الباحثين منصبة بشكل كبير على أبحاث الرسالة، الوسيلة، التأثير ورجع الصدى. مع أن حتمية الوقوف عند القائم بالاتصال بحثاً، هي ضرورة يفترض أن تمليها

---

[*] **واقع النقص** في دراسات القائم بالاتصال، يطرحه العديد من الباحثين والخبراء ؛
أنظر في هذا الصدد – لا للحصر – دراسات Erik Neveu ،Rieffel Remy Lazar, Judith...وتقارير Economisti Associati، Commission de la carte d'identité des journalistes professionnels (CCIJP).
فمن الناحية العملية؛ تم إعطاء أفضلية لنقطتين أو بعدين في صياغة لاسويل الشهيرة "من؟ ماذا يقول؟ من خلال أية قناة ؟ لمن؟ وبأي تأثير؟"، وهما **دراسة التأثيرات** وما يرتبط بها عملياً. **وتحليل المحتوى**، الذي أمد الباحثين بمعطيات تمكنهم من تفعيل مقارباتهم للجمهور.
أنظر: أرمان وميشال ماتلار (أكتوبر 2005)، **تاريخ نظريات الاتصال**، (ترجمة: نصر الدين العياضي والصادق رابح)، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص 50 – 51.

انطلاق مسار عملية اتصالية بأكملها، بدءاً بمحيط الإرسال وخلفياته. وعلى هذا الأساس يلح الكثيرون على حاجة الدراسات الاتصالية والإعلامية اليوم إلى بسط الاهتمام نحو الموضوع، خصوصاً على مستوى سوسيولوجية رجل الإعلام، من منطلق أن هذا الشخص هو الذي يقوم بعملية تصوير الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والديني... ثم نقله إلى الجمهور.

ورغم أن أدبيات البحث الكلاسيكية في "سوسيولوجية المرسلين" ومنذ خمسينيات القرن الماضي،(**) وهي تحرص على دعوة المفكرين والباحثين إلى إثارة إشكاليات متنوعة في هذا الموضوع، إلا أن الدراسات المكملة التي وقف عليها Judith Lazard ،Remy Reiffel وErik Neveu، لا تزال تصر على تجديد هذه "الدعوة العلمية" من خلال تسليط الضوء على انتماءات الصحفيين، خصائصهم الاجتماعيةوكذاأساليب وآليات التحكم والرقابة التي يمارسها هؤلاء داخل المجتمع.فمع رصد ومسح الكثير من نتائج الدراسات - الثرية معرفياً — مع Lars Willnat and David H.Weaver— مثلاً - في أمريكا، أو حتى مع الفرنسيين Valérie DEVILLARD Marie-Françoise LAFOSSE Christine LETEINTURIER... نجد أن هذه الدراسات لا تزال تتتبع وبالمعاينة الميدانية - دورياً - الوضع الاجتماعي والديموغرافي للمهنة الصحفية... هذه الدراسات حتى وإن تغيرت في كثير من إشكاليتها المثارة بفعل تغير تقاليد المهنة من جهة، والطفرة التكنولوجية التي مستها في العمق من جهة ثانية، أعطتنا قراءة بأن موضوع "القائم بالاتصال" فعلاً يشكو من نقص الاهتمام...فبالكاد نجد دراسات ميدانية تتخصص في متابعة ورصد الوضع الاجتماعي والمهني العام لهؤلاء الذين يشكلون الواقع وينقلون جوانبه يومياً "انشغالاً بحثياً مستقلاً".

إن ما تقترحه هذه الدراسة إذن، هو الاشتغال أكثر على سوسيو-مهنية "التشكيلة الصحفية"، من خلال استعراضنا لبعضالنتائج الحاسمة لأهم الدراسات الميدانية المتوصل إليها خصوصاً على الصعيد الاجتماعي ؛ على أساس أن **الجانب المهني للصحفيين لا بد من وضعه**

(**)نقرأ أولى المحاولات العلمية من خلال :

- Johnstone John"الاشتغال بالخلفية التعليمية والمهنية للصحفيين الأمريكيين".
- Haloren، White و Gieber... وغيرهم "ضرورة فهم وشرح مفصل لسلوكيات واهتمامات محترفي الإعلام".
- Hirsch (1973) "ضرورة البحث في المستويات المهنية، المستويات التنظيمية وكذا المستويات المؤسساتية، وهذا للدور الذي يلعبه المبلغ الجماهيري"

أنظر:

- محمد قيراط، (2006)قضايا إعلامية معاصرة، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ص 27 — 28.
- شارلز وينتي، (خانفي — جوان 1997)، (دراسات المبلغ الجماهيري، التشابه والاختلاف ومستوى التحليل)، ترجمة: سعيد بومعيزة، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 15، الجزائر، ص 281.

في سياقه الاجتماعي، بغية الوقوف عند التأثيرات المتبادلة بين المهنية الإعلامية للصحفيين، وبين البنية الاجتماعية والمؤسساتية التي يعملون بداخلها. وهو الاقتراحذاته الذي يفضي إلى استعراض بعض الاتجاهات والزوايا البحثية المنبثقة في موضوع سوسيولوجية الصحفيين.

وعلى ضوء ما سبق يثير هذا البحث الإشكالية الآتية : **كيف تطورت الدارسات السوسيو مهنية للصحفيين ؟ وما هي أهم الإشكاليات البحثية الجديدة التي يمكن الانشغال عليها مع مسار هذا التطور؟**

البحث في سوسيولوجية الصحفيين : دراسة في بعض المؤشرات.

يقول Bernard Miege أن علوم الإعلام والاتصال قد انبثقت "لأن مجتمع الاتصال بحاجة إلى علم يدرس عمليات الإعلام والاتصال الناجمة عن أعمال منظمة هادفة، مرتكزة على التقنيات ومشاركة في أشكال التواصل الاجتماعية والثقافية"؛[1] وهو الطرح الذي يحتم علينا النظر بإمعان في مختلف الأقسام البحثية المتاحة في هذا العلم؛ من تحليل الحوامل، المحتوى، الجمهور، التأثيرات الناجمة... بالإضافة إلى تحليل آليات التحكم والرقابة التي يمارسها "الصحفيون" داخل هذا المجتمع.

وتحليل هذه الآليات وفهم ظروف صناعة المُنتج الإعلامي، لا يُغني— في عمقه – عن دراسة إشكاليات موازية أو بالأحرى "متقاطعة"، من شأنها أن تسهم في فهم هذا التحليل أكثر، كإشكالية البنية الاجتماعية التي يتحرك فيها هؤلاء الأفراد، وهذا ما حرص عليه الرواد الأوائل لدراسات "القائمين بالاتصال"، وعلى رأسهم Robert Harrel الذي اختصر قيمة البحث في هذه الزاوية – بيئة الصحفي –، بالقول :[2]

"... To understand the American pressfullyitisnecessary to understand the men who are makingit, thosewho are beginningwhere the pioneersleft off and are doingrevolutionarythings..." (Mohamed KIRAT, 1993, P 219)

كما أن الحاجة إلى البحث والتحري أكثر في "بيئة الصحفي" ترجع في الأساس إلى جهل أو تناسي الكثير من الدارسين للمناخ التعليمي والاجتماعي الذي يحيط بهؤلاء، خصوصاً مع البيانات شبه المنعدمة عن سير الصحفيين الذاتية وكيفية إدراكهم للمعايير الأخلاقية تجاه

---

[1] Bernard Miege(1995), La pensee communicationnelle, Pug, Grenoble, France, p 84.

[2]Robert. F Harrel, FactorsMaking For Success in Journalists, Walter B, Pitkin and Robert F. Harrel (eds), (1931),Vocational Studies in Journalism, Colombia University Press, New York, p 95.
Voir: Mohamed Kirat(1993), The Comminicators, A Portrait of Algerian Journalists and thier work, Office des Publications Universitaires, Alger, p 219.

المهنة. فهذهالبيانات من شأنها أن تقدم الخلفية البيئية الشاملة التي ترسم خريطة الميدان الصحفي...وخلف هذه البيانات يشكل الصحفيين خطاباً ذو"مستوى ما"، يستطيعون بواسطته الحديث عن الأدوار المناطة بهم داخل ميدان مهنتهم، وكذلك داخل مجتمعهم.

وقد أثبتت العديد من نتائج أبحاث ودراسات الفكر الاتصالي على أن الأفراد ليسوا ذرات منفصلة أو وحدات منعزلة، ولكنهم ينتمون بشكل أو بأخر إلى شبكة من البناءات الاجتماعية، التي تؤثر على قراراتهم واتجاهاتهم نحو مخرجات عمليات الاتصال. فهذه الأبحاث كان لها تأثير كبير في اتجاه الباحثين في علوم الاتصال على تأكيد **الانتماء الاجتماعي** لأطراف عملية الاتصال وسياق عمليتها، ليس فقط بالنسبة لإدراك المتلقي لوسائل الإعلام، ولكن أيضاً في التأثير على القائم بالاتصال، من خلال تأثير شبكة العلاقات الاجتماعية على اتجاهات الأفراد نحو عملية الاتصال وعناصرها ونتائجها.[1] لذلك كانW.Schrammقد نظر إلى جمهور وسائل الإعلام على أساس توزيعهم في وحدات أو تجمعات Clusters، يجمعها مفهوم عضوية الجماعات الاجتماعية، وبالتالي يتأثر أفرادها بمعايير هذه الجماعات وأحكامها،[2] نفس الشيء مع المرسل الذي يتأثر هو الأخر بهذه العضوية ويؤثر فيها.

وكان Denis Mc Quail قد أوضح أنه يجب على علماء الاجتماع – بشكل خاص – دراسة رجال الإعلام لأسباب حددها في:[3]

- النظر في طريقة فهمهم لدورهم، وفي كيفية نظرتهم للجمهور؛
- التحقيق في تأثير المؤسسة الإعلامية والإطار البيروقراطي الذي يشتغلون فيه؛
- وتقييم تأثير الخلفية الاجتماعية، القوانين المهنية والأخلاقية، على عملية الاختيار والمراقبة التي يقوم بها الصحفي.

وفي هذا قسمت Zeliezer توجهات البحث في مجالي "الصحافة والقائم بالاتصال" ذات الأطروحات السوسيولوجية إلى مراحل ثلاث :[4]

---

[1] W. Schraam, (1960), Mass Communication, University of Illinois Press, Urbana,pp 380 – 388.

نقلاً عن : مي عبد الله، (2006) **نظريات الاتصال**، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، ص 111.

[2] مي عبد الله، **المكان نفسه**.

[3] **محمد قيراط**، (مارس 1989)، (أهمية رجل الإعلام في عملية الاتصال والحاجة إلى دراسته)، **المجلة الجزائرية للاتصال**، العدد 03، الجزائر، ص 56 – 57.

[4] Zeliezer : **نقلاً عن** : لمى مبلور، (2012)**الصحافة العربية الحديثة، المشكلات والتوقعات**، (ترجمة: منذر محمود محمد)، ط 1، العبيكان للنشر، الأردن، ص 13 – 14.

▪ تحت المرحلة الأولى للأطروحة السوسيولوجية باتجاه التركيز على تواصل الصحفيين مع بعضهم البعض، وهي بذلك تعد الصحافة "جملة من الممارسات التي يقوم بها أولئك الذين يمتلكون السلطة لفرض هذه التجربة على الآخرين".

▪ اهتمت المرحلة الثانية بإبراز التأثير الذي أحدثته الضوابط التنظيمية على ممارسات الصحفيين وتوجهاتهم.

▪ ركزت المرحلة الثالثة على إيديولوجية المهيمنة التي فرضتها هذه الممارسات والتوجهات، بحيث أن المخرجات الصحفية كانت دليلاً على السلطة التي انعكست على المجتمع، والتي أدت بالباحثين إلى القيام بعملية تقويم لقضايا التمثيل وطرائق الوصول إلى وسائل الإعلام في تحليلاتهم.

كما نوهت Zeliezer إلى توجه رابع يتعلق بمقاربة "الاقتصاد السياسي"، يتم التركيز فيها على الأزمة التي يعانيها الصحفيون الذين يجدون أنفسهم بين مطرقة السلطات السياسية من جهة وسندان السلطة الاقتصادية – الكم المختلط من الأخبار – من جهة أخرى.

مع الإشارة هنا، إلى أن الدراسات الأولى التي توجهت بالبحث في انتماءات الصحفيين وخصائصهم الاجتماعية، وكذا العوامل المؤثرة في سيرورة إنتاجهم في الاتصال الاجتماعي، تعتبر من الدراسات الكلاسيكية في "علم اجتماع العمل"، ومنها كان القبول – عموماً – بحسب Lazar بأن إنتاج الاتصال الجماهيري هو نشاط جماعة منظمة وليس نتيجة مجهود فردي، وهذا يفرض على دارسو جماعة "المرسلين" من حتمية اعتبار البنية الاجتماعية التي يتحرك فيها هؤلاء الأفراد.[1]

وفي سياق الحديث عن هذه البنية الاجتماعية، يوعز بعض الباحثين التغيرات الحاصلة في المشهد الإعلامي العربي مؤخراً – في أحد عوامله – إلى ظهور جيل جديد من الصحفيين العرب الذين تلقوا الجزء الأكبر من تعليمهم وتدريبهم في مؤسسات إعلامية غربية، أو أنهم تعلموا في مدارس وجامعات ذات توجه غربي في بلدانهم الأصلية... يعد هذا الجيل – حسبهم –وسيطاً مهماً في عملية تقديم أنماط جديدة ومغايرة، مع استعمال تقنيات مختلفة تماماً عن تلك التي مورست من قبل في وسائل الإعلام العربية.[2] وهذا مؤشر آخر يزيد من أهمية النقاش والتحقيق العلمي في ما يمكن تسميته "بالأسرار الاجتماعية والمهنية" لهؤلاء الصحفيين، الذين ينسجون يومياً مشهداً إعلامياً مثيراً ومغايراً عما اعتاد عليه المُشاهد العربي من قبل.

---

[1] حوديث لازار، (2003)، علم اجتماع المرسلين، (ترجمة : رضوان بوجمعة)، **الوسيط في الدراسات الجامعية**، ج 2، الجزائر، ص 99.

[2] لمى ميلور، **مرجع سبق ذكره**، ص 111.

إن الكثير من المحاولات العلمية في المنطقة العربية لم تقدم في دراساتها سوى رؤية عامة (كمية) للخلفية التعليمية والاجتماعية لعينات من الصحفيين، كما أن هذه المحاولات لم تتعد عتبة تحليل هذه المهنة من خلال التربصات، الخرجات العلمية والشهادات الجامعية التي يحملها هؤلاء الصحفيون. فالأجدر كان – إلى جانب هذا – محاولة الكشف عن الكيفية التي يبني بواسطتها الصحفيون مهنتهم ؛ مثل دراسة سماتهم الشخصية أوطبائعهم التي وفرت لهم "مفهوماً عملياً" للميدان الذي يعملون فيه. كما أن هناك حاجة للقيام بتحليل الكيفية التي يمكن من خلالها معرفة كم رأس المال الثقافي الذي تمتلكه جماعة مهنية محددة من الصحفيين تتحول إلى ميادين أخرى كالسياسة مثلاً.[1]

أهم الاتجاهات الكلاسيكية في"علم الاجتماع المرسلين".

الاشتغال البحثي في المدرسة الأمريكية :

بإجماع الكثير من الباحثين والدارسين لمجال الإعلام، فإن القائم بالاتصال هو أحد أهم الأطراف التي تتحكم في صيرورة عملية الاتصال الجماهيري،(*)ومع هذا فإن بداية اهتمام الدراسات الإعلامية بهذا العنصر جاءت متأخرة بالمقارنة مع العناصر الأخرى. حيث يعود بداية اهتمام **المدرسة الأمريكية** بدراسة القائم بالاتصال إلى النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك بفعل :

- النمو المتزايد للصناعة الصحفية وبروز دور الصحافة وتأثيرها في المجتمع الأمريكي.
- التحديات المفروضة على القائمين بالاتصال، إزاء القوة التي أصبحت عليها الصحافة في التأثير على الأوضاع العامة في المجتمع الأمريكي.[2]

---

[1] لمى ميلور، مرجع سبق ذكره، ص 91 – 92.

(*)كان هارولد لاسويل 1948، قد زود **السوسيولوجيا الوظيفية** لوسائل الإعلام بإطار مفاهيمي يتعلق بصياغة "من ؟ ماذا يقول ؟ من خلال أية قناة ؟ لمن؟ وبأي تأثير؟"والتي عند ترجمتها إلى أقسام بحثية، يمكن استخراج الفروع التالية:

- تحليل التحكم والرقابة.
- تحليل المحتوى.
- تحليل وسائل الإعلام أو الحوامل.
- دراسة الجمهور.
- دراسة التأثيرات.

أنظر: أرمان وميشال ماتلار، مرجع سبق ذكره، ص 50 – 51.

[2] عواطف عبد الرحمان، ليلى عبد الحميد وفتحي كامل، (1992)،**القائم بالاتصال في الصحافة المصرية**، كلية الإعلام، قسم الصحافة، سلسلة دراسات صحفية، مطابع كلية الإعلام، مصر، ص 65.

• تفطن الدارسون إلى أن الاكتفاء بدراسة "**المحتوى الصحفي**" وحده، لن يتيح إلا دراسات محدودة الأثر، لأنها تهمل منتج هذا المضمون، ولا تفي بمعرفة الأسباب والظروف التي على ضوئها تم اختيار هذا المحتوى دون ذاك.[1]

وتعد دراسة Harrel سنة 1931، من بين أولى الدراسات التاريخية الكلاسيكية التي توجهت نحو جماعات الصحفيين "Factors Making for Successin Journalisme"؛[2] حيث توجهت هذه الدراسة بالبحث مع نحو 500 صحفي. وإن كان يؤخذ عليها عدم استخدامها لطريقة علمية محددة في اختيار العينة، بالإضافة إلى عدم توجه الدراسة ولو لمرأة صحفية واحدة. حيث حاول الباحث خلال هذه الدراسة البحث في أصول الصحفيين الأمريكيين (أي الإجابة عن السؤال من أين جاؤوا؟)، احترافيتهم، ترقيتهم وكذا خلفيتهم التعليمية، والسوسيواقتصادية. وتوصل Harrel في نتائج دراسته، إلى أن الصحفيين الذين شملتهم الدراسة لهم مستوى تعليمي جيد، يحترمون الاحترافية. وبالنظر لشباهم فهم راضون عن احترافيتهم إلى حد ما، لأن حق الراتب يأخذونه كاملاً.

ثم جاءت دراسة Leo Rosten عن مراسلو واشنطن TheWashington correspondant عام 1937، والتي قدمت حالة لنموذج مهني متقدم، تسود فيه القواعد والنظم الخاصة بمعايير الإنجاز التي طورتها ودعمتها الجهود الأكاديمية للارتفاع بمستوى الأداء.[3] كما كشفت الدراسة التي مست 127 مراسلاً، أن ذوو التوجهات المهنية منهم، يختلفون في سلوكهم وفي رؤيتهم لذواتهم عن بقية زملائهم، وتعد هذه الدراسة من أولى الدراسات أيضاً التي تناولت الصحفيين لأول مرة "كفائمين بالاتصال".[4]

وفي العام 1941 نشرت مجلة "**الصحافة**" التي تصدر في ولاية "**أيوا**" دراسة ميدانية أجريت عن العاملين بجريدة Milwakee journal، حيث تم فيها دراسة وضعية الصحفيين الاجتماعية، ومسألة تدريبهم على الأخبار.[5] قبل أن تتوقف دراسات المرسل هذه حتى عام

---

[1] أمال كمال (1991)، **التوجه المهني لدى القائم بالاتصال**، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد 30، العددين 02 و03، القاهرة، ص 81.

[2] Robert. F Harrel, FactorsMaking For Success in Journalists, Walter B. Pitkin and Robert F. Harrel (eds), (1931), VocationalStudies in Journalism, ColombiaUniversity Press, New York, 1931, pp 93 – 159.
Voir :Mohamed KIRAT, Op cit, p 76.

[3] محمد عبد الحميد، (2004)، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، ط 3، القاهرة : عالم الكتب، ص 154.

[4] LeoRosten، نقلاً عن : جيهان رشتي، (1978)، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**، دار الفكر العربي، القاهرة.

[5] Fw. Prruger, The Social composition and training on of milwakee journal news staff, journalismquarterly, vol 01, 1941.

1950، عندما نشر الباحث **دايفيدما نجرايث**، دراسته "**حارس البوابة وانتقاء الأخبار**".[1] ويوعَزُ هذا التوقف إلى فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها، والتي شلت دراسات الكثير من الأبحاث ؛ ليس فقط المتعلقة منها بالصحفيين، بل المتعلقة بمختلف الاهتمامات البحثية في الإعلام، ومختلف العلوم الأخرى.

وفي العام 1953 طور "**كيرت لوين**" ما أصبح يعرف بنظرية حارس البوابة الإعلامية، التي أسهمت مع منتصف الخمسينات وأوائل الستينات من القرن الماضي، بتبني العديد من الدارسين لمجال القائم بالاتصال والبحث في إشكالياته كـ(Warren Breed, R. Carter, Strak, Gieber, R. Judd, White,K. Mcrorie...)، حيث عمل هؤلاء وغيرهم على محاولة تقديم تحليل وظيفي **لأساليب السيطرة والتحكم التنظيمي والاجتماعي** للقائم بالاتصال في حجرة الأخبار، وكيف تقوم الصحف بحذف الأخبار التي تهدد النظام التنظيمي والاجتماعي والثقافي... كما قام هؤلاء أيضاً بدراسة ورصد أهم العوامل المؤثرة على ذلك؛ كالضغوط التي يفرضها الواقع البيروقراطي في حجرة الأخبار، العلاقات الشخصية، وكذا سياسة الناشر... وأجمعت دراسات هؤلاء على أنه من دون دراسة القوى الاجتماعية التي تؤثر على عملية جمع الأخبار، لا يمكن أبداً فهم حقيقة تلك الأخبار.

من بين الدراسات الميدانية اللاحقة، التي أُنجزت حول الصحفيين الأكثر تأثيراً في العالم، نتتبع تحقيق Lichter and Rothman،[2] الذي تم إنجازه سنتي 1979 و1980، والذي مس 238 صحفياً يعملون في أكبر الصحف شهرة. وهو التحقيق العملي الذي سجل ارتفاعاً بنسبة 61% في عدد الصحفيين في ظرف إحدى عشرة سنة بين 1971 و1982. كما وقفعند سن الصحفيين الأمريكيين ؛ أين وجد أن أغلبيتهم شباب، 80% يقل سنهم عن الـ 50 سنة.ويقرأ الباحثان في ذات التحقيق الاتجاه نحو "تشبيب المهنة"، خصوصاً في قطاع التلفزيون أين سُجل متوسط سن الصحفي بـ 31 سنة. هذا بالإضافة إلى انتشار ظاهرة مغادرة صحفيو الخبرة لمهنتهم، بسبب نقص الرضا الوظيفي في العمل، وشعور هؤلاء بنقص استقلاليتهم المهنية.

وكشفت هذه الدراسة أن أغلبية هؤلاء الصحفيين هم من الرجال بمعدل 08 على 10 من المجموع العام. غير أنه ومنذ سنة 1971، لُوحظ ارتفاع في عدد النساء الصحفيات من 20,3% إلى 33,8%. وهي من بين أهم التطورات الحاصلة في المهنة منذ العام 1971 – بحسب

نقلاً عن : جيهان رشتي، (1978)، مرجع سبق ذكره.

[1] عواطف عبد الرحمان، ليلى عبد المجيد ونجوى كامل، مرجع سبق ذكره، 01، ص 65.

[2] جوديث لازار، مرجع سبق ذكره، ص 110 – 111.

الباحثين -. كما أن دراسة Lichter and Rothman، وقفت عند واحدة من أهم المعطيات المعرفية الخاصة بسوسيو مهنية الصحفيين، حينما كشفت أن 31% من الذين ينتمون لنخبة الصحفيين الأمريكيين هم من الطائفة اليهودية أو تربوا في كنف هذه الديانة.

وكان الفرنسي Lazar قد لخص السمات السوسيو مهنية للصحفي الأمريكي، حينما أكد أنه وبعيداً عن الاختلاف، فإن بعض الخطوط المشتركة تظهر بصورة واضحة، الصحفي الأمريكي هو شخص شاب من بشرة بيضاء، ينحدر من عائلة طيبة، وتلقى تكويناً جامعياً، وبحساسية سياسية وُسطى، وذو راتب متوسط، ويرغب في استقلالية أكثر في أداء عمله.[1] وهي النتائج التي تعكس مركز الانشغال في الدراسات الكلاسيكية آنذاك، انشغال يدور وفقط في معرفة **البيئة الاجتماعية والخلفية التعليمية** لهؤلاء الصحفيين.

الاشتغال البحثي في المدرسة الفرنسية :

دراسات القائم بالاتصال في المدرسة الفرنسية، جاءت بالمقارنة مع المدرسة الأمريكية **متأخرة زمنياً ومختلفة طرحاً**، فواقع التأخر والاختلاف على حد سواء ؛ يرجع إلى نشأة الاتصال في حد ذاته ؛ فبينما ارتبط في المدرسة الأمريكية بالاتجاه الإمبريقي منذ K.HovlandوP.lazarsfeld، نشأ الاهتمام بالاتصال وعلومه في أوربا في إطار علم الاجتماع، الذي اتسم بالطابع النظري. لذا كانت توصف العلاقة بين المدرستين الأمريكية الإمبريقية من جهة، والأوربية النظرية من جهة ثانية بالقطيعة الإبستيمولوجية. وتبادلت كل من المدرستين التهوين من شأن القيمة العلمية للدراسات التي تجريها الأخرى...

ولعل عبارة عالم الاجتماع الفرنسي Robert Mrton تعكس حقيقة هذا الصراع المعرفي، وتعالي الأوربيين عن إسهامات المدرسة الأمريكية، حين قال "نحن لا نؤكد أن ما نقوله هو الحقيقة، لكنه على الأقل ذو معنى"، فيما كان رد الإمبريقين "نحن لا نؤكد أن ما نقوله له معنى، لكنه على الأقل موجود في الواقع".[*] فيما دفع الأمر Karle Norderstrong إلى القول أن

---

[1] حوديث لازار، مرجع سبق ذكره، ص 115.

[*] وفيما بعد برزت الكثير من الأسماء والمراكز البحثية التي ارتبط ظهورها بردة الفعل الأوربية الغربية على سيطرة التوجه البحثي الأمريكي لسوسيولوجيا وسائل الإعلام، خصوصاً مع **مركز دراسات الاتصال الجماهيري** الذي تأسس سنة 1960 بفرنسا مع السوسيولوجي Georges Friedmann، والذي انشغل بتحليل العلاقات الكلية بين المجتمع والاتصال الجماهيري. بالإضافة إلى معهد أ. **جيميلي** لميلانو الإيطالية، والذي انتظم باحثوه لإجراء دراسات معمقة دائمة حول ظواهر الاتصال والثقافة الجماهيرية برؤية معرفية ومقاربة منهجية مغايرة...

الميدان الأوربي ليس مصدراً ثرياً للتمرين الثقافي، إذ لا يوجد عادة إلا مصدراً أو مصدرين للدراسات الإعلامية في البلد الواحد.[1]

وعدا اتسام المدرسة الفرنسية بالطابع النظري، فقد كانت تتبنى لفظ "**الوسيط**" Mediateur، بديلاً عن لفظ "**القائم بالاتصال**" Communicator، فهي ترى أن القائم بالاتصال له دلالة محايدة، بينما الصحفي – وفقاً لاتجاهاته – يلعب دوراً تفاوضياً بين صاحب المعلومة (المصدر) وبين الجمهور (المستقبل).[2] حيث يضيف Jacob Mollerup، إلى أن الدور المركزي لهذا **الوسيط** هو عرض الوسيلة الإعلامية للجمهور من جهة، وعرض الجمهور على الوسيلة الإعلامية من جهة ثانية. فالأساس حسبه يكمن في التحاور والحل الوسطي. كما أن القائم بالاتصال هنا ليس في وضعية تسمح له بالحكم والإقرار بأن هذا صحيح وذاك خاطئ، فهو **وسيط** لا أكثر ولا أقل.[3]

وبهذا يتضح أن نشأة **الحقل الصحفي** الذي يعبر عن الأوضاع الصحفية والضغوط التي تمارسها المؤسسة الصحفية على عمل القائم بالاتصال، يعد أحد أهم ما اتسمت به **المدرسة الفرنسية** عن نظيرتها الأمريكية، كفكرة تقوم على أن عمل الصحفي وإدراكه لدوره لا يتحدد فقط من خلال تكوينه الاجتماعي والإيديولوجي وسماته الخاصة فحسب، وإنما أيضاً من خلال انتظامه في منظومة "علاقات" لها بنيتها وديناميكيتها الخاصة، يلعب فيها دور الجزء من الكل.

وتطرح الباحثة الفرنسية Judith Lazar جملة من الإشكاليات المعرفية، تمثل مركز ثقل البحث السوسيو مهني لجماعات الصحفيين، والتي اختصرتها في "من هم الصحفيون – اليوم – في فرنسا ؟ من أين يأتون ؟ ما هي الدراسة التي تابعوها ؟ هل هم من النساء أم الرجال ؟ ما هي الأفكار التي يتفقون حولها"، وهي الأسئلة التي تتطلب حسبها، إجراء دراسات ميدانية مفصلة للوقوف الجيد عند خلفيات هذه المهنة.[4]

وفي هذا تنقل Larar أرقاماً إحصائية عن نقابة الصحفيين في فرنسا، ترى من خلالها إمكانية الحصول على صورة صحيحة نسبياً عن صحفيو هذا البلد. ففي عام 1989، تم إحصاء 20 ألف

---

[1] عبد الرحمان عزي، (مارس 1988)، (مسألة البحث عن منهجية بحث، إعادة النظر في نموذج لاسويل)، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 03، ص 18.

[2] عواطف عبد الرحمان، ليلى عبد المجيد ونجوى كامل، مرجع سبق ذكره، ص 84.

[3] Jacob Mollerup (2011),Professional Journalism and Self-Regulation : New Media, Old Dilemmas in South East Europe and Turkey, (on public service broadcasting and ombudsmanship), United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, France, P 105.

[4] جوديث لازار، مرجع سبق ذكره، ص 100.

صحفي في فرنسا، بمن فيهم الذين يعملون في الصحافة المكتوبة، الإذاعة والتلفزيون وكذا الوكالات. ممثلين في 15748 حاصل على بطاقة مهنية، 2826 حاصل على بطاقة متربص و2087 صحفي متعاون. ومن بين هؤلاء الصحفيين الذين شملهم الإحصاء عام 1989، تم تسجيل 7113 امرأة صحفية بنسبة 34%، مقابل 4266 صحفية عام 1985، أي بنسبة 25,1% فقط. وما يلفت الانتباه هو الارتفاع المحسوس لعدد النساء الصحفيات في مهنة الصحافة، فبعد أن كنَّ يشغلن 16,3% مع عام 1967، ارتفع عددهن إلى 34% مع عام 1989.[1]

ومن بين الدراسات الفرنسية الثّرية التي أجريت في هذا المجال البحثي أيضاً، نطّلع على الدراسة الميدانية التي قام بها الباحثون الأربعة بمعهد الصحافة الفرنسية (IFP, Université Paris2)، ويتعلق الأمر بكل من Valérie DEVILLARD، Marie-Françoise LAFOSSE، Christine LETEINTURIER، و Rémy RIEFFEL،[2] هذه الدراسة التي قدمت نتائج ميدانية مفصلة حول الوضع الاجتماعي والديموغرافي للمهنة الصحفية، وذلك مع عينة من الصحفيون الفرنسيون من عام 1990 إلى غاية 1999. بالاعتماد على "تصوير وضع" هؤلاء الصحفيين والاستناد إلى مجموعة الوثائق الرسمية المتاحة.

وعند معالجة البيانات، تمكن الباحثون من ضبط 903 31 فرداً صحفياً، من الحاصلون على البطاقة المهنية عند تاريخ الـــ 01 جانفي 2000، وعندها تم تسجيل زيادة في عدد الصحفيون المحترفون. فتبعاً للإحصائيات (من 945 11 صحفي سنة 1980، إلى 614 26 مع عام 1990). كما تم الوقوف عند جملة من الخصائص العامة ؛ أكثريتهم رجال، متوسط أعمارهم 42 سنة، في معظم الأحيان هم محررين مخبرين، غالبيتهم يعملون في قطاع الصحافة المكتوبة، وما يقرب الـــ 60% منهم يعيشون في مدينة فرنسا، كما يمكن القول أن نصفهم يحصل على دخل شهري صاف يتراوح بين 000 10 و 000 20 فرنك.

فالملاحظ أن الفترة 1990 – 1999، يمكن أن تثير بعض الاتجاهات الملفتة للانتباه، **فالمهنة ازدادت تأنيثاً** ؛ حيث يلاحظ أيضاً أن حصة خريجي المدارس الثماني المعترف بها ازداد قليلاً،* حيث وصلت الحصة عام 1999 إلى 12% من مجموع السكان الصحفيين. اتجاه آخر

---

[1] حوديث لازار، المرجع نفسه، ص 101.

[2] Valérie DEVILLARD, Marie-Françoise LAFOSSE, Christine LETEINTURIER, Rémy RIEFFEL, (2001),Les journalistes français à l'aube de l'an 2000. Profils et parcours, Éd. Panthéon Assas, (diffusé par LGDJ, distribué par le Seuil), Paris, 169 p.

* المدارس الثماني المعترف بها (Les huit écoles reconnues)– وفقاً للدراسة – هي:

يُلحظ وهو "هشاشة المهنة"، فالصحفيين الذين يعملون لحسابهم الخاص، والذين يمثلون 14,7% عام 1990، ازداد عملهم بعد تسع سنوات (1990) إلى 17,9% من مجموع الصحفيين المحترفين، والملاحظ هنا أن النساء (لحسابهم الخاص) غالباً ما كنَّ مدعاة للشك في هذا الجانب، فهن يمثلن 21,6% مقابل 16,8% رجال.

فهذا التحقيق الميداني المشترك الذي أعده الباحثون الأربعة، أسهم لاحقاً وبشكل كبير في تأطير دراسات ميدانية أخرى، كتلك التي أعدتها لجنة بطاقة هوية الصحفيين المحترفين(CCIJP) سنة 2009، في إطار عملية توفيرها لبيانات سنوية حول مهنة الصحفيين في فرنسا – وهي الدراسة التي سنناقشها لاحقاً في سياق استعراضنا لأهم هذه الدراسات –.

اتجاهات بحثية متنوعة في دراسة الوضع الاجتماعي والمهني للصحفي: من الخلفيـــة الاجتماعية إلى الاستخدام التكنولوجي.

والمتتبع لعملية المسح العلمي الذي سنقوم به لأهم الدراسات الحديثة التي أجريت في موضوع "الوضع الاجتماعي والمهني للصحفي" سواء في التراثين الأوربي أو الأنجلوساكسوني، يستنتج واقع التطور في الانشغال البحثي تجاه الموضوع؛ حيث لم يعد الاهتمام منصباً وفقط حول تركيبة التشكيلة الصحفية في المؤسسات الإعلامية (من السن، الجنس، المستوى التعليمي، الخبرة...) وفقط، وإنما تعدى ذلك إلى إثارة زوايا أخرى جديرة بالتحقيق العلمي،كالبحث في "النخبة الصحفية"، استخدامات الصحفيين لتكنولوجيات الاتصال الحديثة (من الانترنت إلى وسائل الإعلام الاجتماعي Social Media).هذا دون إهمال تصوير الوضع الاجتماعي العام للصحفيين، أو ما يعرف ببناء خارطة معلوماتية حول سير الصحفيين، الذي يبقى جانب محوري في هذا النوع من الدراسات. وهذا التطور يعود من وجهة نظرنا إلى :

- تطور الأداء الصحفي والاحترافية المهنية عند الكثير من الصحفيين، وفهم هذا "التطور" لا يقف عند رصد سير هؤلاء الصحفيين وخبراتهم المكتسبة، وإنما يتعدى ذلك إلى معرفة طرائق استخدام الوسائل التكنولوجية في عملية التكوين والدعم في المهنة.
- بروز جماعة من الصحفيين تمتاز بخصائص اجتماعية وثقافيةمختلفة... هم – غالباً – ذوو تكوين عالي، ذوو رواتب عالية وذوو تموقع جيد في السلطة السياسية. هذه الجماعة جديرة بالتقصي والنقاش العلميين.

MST du CELSA,CFJ de Paris, CUEJ de Strasbourg, EJCM de Marseille, ESJ de Lille, IPJ de Paris, IUT de Bordeaux, et IUT de Tours.

- الثورة التكنولوجية التي رافقت – ولا تزال – مختلف أوجه الحياة، بما في ذلك قطاع الإعلام، وهو الذي استفاد بشكل خاص من مكاسب العصر، من الكاميرا مروراً بالحاسوب ووصولاً عند تطبيقات الانترنت.
- تطور الفكر الاتصالي وتشعب المقاربات البحثية المتاحة، بالإضافة إلى الإرث الإمبريقي المتاح في الدراسات ذات الصلة.

سوسيو– مهنية "نخبة الصحفيين" : الوصول إلى النخبة لا يعتمد دائماً على الفرصة والجدارة.

وفي هذا الاتجاه تبرز دراسات السوسيولوجي الفرنسيRemy Rieffel، حول نخبة الصحفيين في فرنسا،(*) والذي استهدف من خلالها الوقوف عند الكثير من المعطيات كفهم هؤلاء لمهنتهم، وظائفهم ومزاجهم... مع أخذ نشاطاتهم ضمن مقاربة علمية محددة.[1] حيث لاحظ Rieffel الدور الذي لعبه معهد الدراسات السياسية في تكوين هذه الفئة من الصحفيين، فنسبة 23% من خريجي المعهد يمثلون نخبة الصحفيين الفرنسيين. وعن كيفية رؤية هؤلاء لأدوارهم وضع Rieffel ترتيباً من ثلاثة مستويات يُسميها:[2]

1. **الوسيط** (Lemédiateur) : أو الوساطة الثقافية بين المصادر والجمهور.
2. **المرتب** (L'ordonnateur) : وهو الذي يقوم بفرز المعلومة وترتيبها.
3. **المعمم** (Le vulgarisateur) : أو مفكك رموز الواقع.

كما رأى Rieffel أن نسبة 60% من الصحفيين النخبويين يقفون ضد التعليق على المواضيع، فهُم يحبذون تزويد قرائهم بالآراء الموضوعية، فيما يعترف الكثير منهم أنهم يقدمون "توضيحاً ضرورياً" عندما يرون الأمر مستحسناً. ومع أنه ليس كل الصحفيين يعملون وفق هذا

(*) يُقر RemyRieffel بأن البحث في إشكالية الصحفيون النخبويون ليس بالجديد، فقد وقف عنده رواد النظور النقليدي السوسيولوجي مع W. Mills، M. Weber، J. Schumpeter، V. Pareto... وآخرون.

Voir: Remy Rieffel, (1983), (Analyse de l'élite des journalistes, Questions de méthode), Revue française de science politique, n 3, 33e année, France, p 463 -464.

[1] Rémy Rieffel, (1983), Ibid, p 464.

[2] حوديث لازار، مرجع سبق ذكره، ص 108.

المبدأ... فالباحث لا يشك في أن الروح النقدية أو الاحتجاج ليست من تقاليد الصحافة الفرنسية.[1]
وفي هذا يرصد Rieffel ثماني نقاط أو اتجاهات أساسية ميزت مهنة الصحافة في فرنسا:[2]

1. تأنيث تدريجي للمهنة.
2. شيخوخة طفيفة في أسرة الصحفيين، بعدما كان الشباب أكثر.
3. الصحفيون خريجو الجامعات على نحو متزايد.
4. زيادة مستمرة لعدد الصحفيين الذين يعملون لحسابهم الخاص.
5. جزء مهم من الصحفيين الإطارات، أخذوا مسؤوليات في المهنة.
6. توزع الصحفيين على وسائل الإعلام الكبرى التي تقيِّم أقل.
7. تركيز عال على الصحفيين النشطين في العاصمة باريس "En région Parisienne".
8. تباين شاسع في سلم أجور الصحفيين.

وتقاطعت هذه الاتجاهات الثمانية مع النقاط الأربعة التي كان قد رصدها Erik Neveuسنة 2004، والتي تتعلق بأهم التطورات الحاصلة مع الصحفيين في فرنسا:[3]

1. تجديد شباب المهنة، مع إعادة نمو هائلة.
2. ارتفاع مستوى تدريب وتأهيل الصحفيين.
3. تأنيث المهنة.
4. ارتفاع مستوى "الهشاشة" في مهن الصحافة.

كماتنطلق الباحثة الفرنسية Maria SANTOS-SAINZ في دراستها الموسومة بـــ "L'élite journalistique et son pouvoir"،[4] بمراجعة علمية لتحقيق Remy Rieffel حول "نخبة الصحفيين" في فرنسا،حيث حاولت أن تناقش سلسلة القضايا التي أثيرت في السنوات الأخيرة حول "مصداقية الصحفيين". كما تساءلت عن دورهم في النظام الديموقراطي، عن قدرتهم في تغيير مسار الأحداث، عن شبكات نفوذهم... وعن مواقفهم الإيديولوجية.

---

[1] حوديث لازار، المكان نفسه.

[2]Commission de la carte d'identité des journalistes professionnels/CCIJP, (Mai 2009),Photographie de la profession des journalistes, Etude des journalistes détenteurs de la carte de journaliste professionnel de 2000 à 2008, (observatoire des métiers de la presse), France, p 03.

[3]Commission de la carte d'identité des journalistes professionnels (CCIJP), Op cit, p 03.

[4]Maria SANTOS-SAINZ, (2006),L'élite journalistique et son pouvoir, Éd. Apogée, coll. Médias & nouvelles technologies,Rennes, France, 223 p.

واعتمدت الدراسة على إجراء مقابلة فردية مع 15 صحفياً من النخبة الفرنسية بين عامي 2000 و2001، كما أخذت الباحثة بمنهج Cyril Lemieux،(*) في ملاحظتها لموقع عمليات صنع القرار داخل قاعات التحرير. غير أننا وفي تتبعنا لهذه الدراسة، سنتوقف وفقط عند قراءات SANTOS-SAINZ لكتاب Rieffel ؛ الذي نعتقد أنه يفيدنا في سيرورةالبحث:

▪ حاول الفصل الأول الوقوف عند مفهوم "النخبة"، والذي تبنى فيه مقاربتين الأولى لـــ Raymond Aron ؛ "النخبة تتكون من أولئك الذين هم في أعلى التسلسل الهرمي ويشغلون مناصب تدرّك إما بالدخل أو بالهيبة"، ومن Pierre Bourdieu على أساس الوضعيات المهيمنة "Positions dominantes" داخل الحقل، حيث يرى في أن "نخبة وسائل الإعلام" يجري تشكيلها من الناس الذين ليسوا بالضرورة صحفيين، وهذه النخبة يتم تقسيمها مع نخبة السلطة (الاقتصادية، السياسية والعسكرية)، وبثلاث خصائص أساسية (المال، الهيبة والسلطة).

▪ يشير Rieffel إلى نقطة مهمة وهي أن نخبة الصحفيين هم أساساً "باريسيون"،[1] مع احتساب صحُفيتين اثنين GiroudetCotta، وبحسب تحليل Rieffel فإن المنظّمون الجدد للقائمة (الجيل الجديد) يملكون خصائص مغايرة؛ "فهم أكثر احترافية، أقرب إلى الجمهور، الأكثر حضوراً على شاشة التلفزيون، الأكثر إدارة".

الباحثة SANTOS-SAINZ تتابع تحليلها باستعراض مختلف الفاعلين بين النخبة، كما تستحضر رحلتهم. لا سيما الطرق التي يأتون بها وخلفياتهم الاجتماعية... حيث تسجل مقولة اقتبسها Rieffel عن أحد مراسلي إسبانيا في باريس "عن الصحفي الفرنسي"، الذي اعتبره "بورجوازي صغير":

"Le journaliste est un produit petit-bourgeois de classe moyenne, qui s'embourgeoise plus encore dans l'exercice de sa profession." (Maria SANTOS-SAINZ, L'élite journalistique et son pouvoir)

(*) Cyril Lemieux, (2000), Mauvaise presse. Une sociologie compréhensive du travail journalistique et de ses critiques, Métaillé, Paris, France.

[1]Les journalistes de l'élite les plus cités de l'échantillon:
Patrick Poivre d'Arvor, Jean-Marie Colombani, Serge July, Frantz-Olivier Giesbert, Alain Duhamel, Christine Ockrent, Christian Imbert, Jacques Julliard, Pierre Alexandre, Françoise Giroud, Anne Sinclair, Jean-François Kahn, Ignacio Ramonet, Bernard Pivot, Jean Daniel, Claude Sérillon, Luc Joffrin, Edwin Plenel, Jean-Marie Cavada et Jean-Pierre Elkabbach.
Voir: Remy Reiffel,(1984), L'Élite des journalistes, Presses universitaires de France, Paris, p 39.

ويعزز هذا المراسل رأيه، بالإشارة إلى طلاب الصحافة في بوردو l'IUT de Bordeaux، الذين يقولون "إذا أردت أن تكون جزءاً من نخبة الصحفيين، فلا بد أن تكون أفضل حظاً، ومتوفراً على شروط معينة".

▪ يضيف Rieffel أنه "من بين 2000 صحفي خريج (Cfj) بباريس ما بين 1947 و2002، الغالبية منهم يتمركزون في وسائل الإعلام المرجعية، ويشغلون مناصب مهنية مرموقة".[1] كما يسلط الضوء من جهة على النخبة من خريجو العلوم السياسية في باريس، ومن جهة أخرى على التفاوت الكبير في نظام الأجور بين الصحفيين وبين نخبة المهنة، ويبرر ذلك بعزلتهم الاجتماعية.

▪ يتحدث Rieffel على مسألة نظام اختيار النخبة الصحفية، حيث يرى أن ذلك يعتمد بدرجة أقل على "الجدارة" مقابل الاعتماد على مبدأ "الاستقطاب".[2] كما تُجمع قراءاته على أنه "لا يوجد مسار محدد يؤدي مباشرة إلى النخبة الصحفية"،"فعالم الصحافة مهنة قاسية. من دون الانضمام إلى عشيرة (Unclan) فإنه يستحيل البقاء على قيد الحياة"، مع أن عدد من الذين قابلهم من النخبة – يضيف Rieffel – ينكرون ويتحججون بـــ "الفرصة".[3]ففي الدراسات اللاحقة للصحفي السياسي YvesRoucaute، وكذا الصحفيَين Sophie Coignard و Alexandre Wickham، أعطوا أهمية حاسمة لمفهوم العشيرة "Clan"، وذلك لشرح أسلوب عمل هذه النخبة، وتبرير بعض تصرفاتهم. فالنخبة الصحفية تجسد فكرة واحدة بحسب Bourdieu؛ وهي أنهم "مترجمو العقيدة الرسمية".

ب/ إعادة هيكلة جديدة لغرف الأخبار، وامتلاك الـــتكنولوجيات الجديدة للاتصال يزيد من الثقة والمردودية المهنية عند صحفيي الاتحاد الأوربي.

يستعرض التقرير المشترك الذي أُعِّد من طرف Economisti Associati و The Evaluation Partnership، European Journalism Centre[4] نتائج المراجعة الإحصائية للصحافة والاعلام ووضع الصحفيين في الاتحاد الأوروبي بتكليف من المديرية العامة لمجتمع

---

[1]Remy Reiffel,(1984),Ibid, p 67.

[2]Remy Reiffel, ,(1984, Ibid, p 94.

[3]Remy Reiffel, ,(1984), Ibid, pp 91 - 98.

[4]EconomistiAssociati,(march 2010), The Evaluation Partnership and EuropeanJournalism Centre,Feasibilitystudy for thepreparatoryaction "ERASMUS for journalists", final report - StatisticalReview, European Union, pp 01 – 40.

المعلومات والإعلام التابع للمفوضية الأوروبية (DGINFSO) في سياق دراسة الجدوى للعمل التحضيري للصحفيين "ERASMUS".

حيث استهدفت هذه الدراسة التي شملت عينة قوامها 472 صحفياً من جميع الدول الأعضاء بالاتحاد الأوربي، الوقوف على ثلاث نقاط أساسية؛ **الأول** يتعلق بتتبع الوضع المهني للصحفيين الأوربيين، **الثاني** برصد حالة صناعة الأخبار في الاتحاد الأوربي وتحديات المستقبل، أما **الثالث** فيتعلق بمناقشة البعد الأوربي للصحافة وأخبار وسائل الإعلام، من خلال تحليل قطاعات وسائل الإعلام.

وخلُصت الدراسة – في سياق ما يخدم إشكالية بحثنا – إلى نتائج في غاية الأهمية، حيث بينت أن هناك مشكل كبير يتعلق بعملية **إحصاء عدد الصحفيين النشطين** في الاتحاد الأوربي، حتى وإن كانت هناك تقديرات تتراوح بين 220,000 و300,000 صحفي، وذلك بسبب التباين في التعريفات الخاصة بالصحفي ولعدم وجود مصادر موثوق بها.

وكشفت بيانات المسح، إلى أن هناك **تغير طرأ في شكل الممارسة وظروف العمل**؛ حيث أن غرف الأخبار باتت تشهد إعادة هيكلة جديدة، من خلال التخلي عن النموذج التقليدي في العمل، مع دمج منصات ووسائل الإعلام الجديدة في أوربا. فنماذج إنتاج وتوزيع المحتوى أصبح له انعكاس على دور وممارسة الصحفيين، إذ أن الغالبية من هؤلاء الذين شملهم الاستطلاع يقرون بزيادة المهام المهنية خلال الفترة 2008 – 2010، فثلث ما لا يقل عن واحد منهم معني بالمشاركة في أنشطة المحتويات عبر هذه المنصات المتعددة.

كما تشير الدراسة إلى أن تغير استراتيجية غرف الأخبار وحتى شكل ومحتوى المنتج الإخباري، أديا إلى **تضاعف عبء العمل**، ومن ثمة زيادة في حجم المسؤولية ومشاركة أكبر في صنع القرار. حيث أشارت الإحصاءات إلى أن ما يقرب الـــ 70% من الصحفيين الأوربيين شهدت ظروف عملهم تدهوراً كبيراً في الفترة 2008 و2010، من حيث قاعدة **عمل أكبر لراتب أدنى** "more work for lesspay"، وهذا الاتجاه يسقط إلى حد ما – حسب الدراسة – مع حالة النساء الصحفيات، الصحفيون المستقلون وكبار الصحفيين ممن تتجاوز خبرتهم المهنية أزيد من 20 عاماً.

كما تقر نتائج الدراسة إلى أنه من بين العوامل الرئيسية لتفاؤل الصحفيين، **ثقتهم في المهارات المهنية التي يمتلكونها**، ففي هذا الصدد (3/2) اثنين من أصل ثلاثة صحفيين يؤمنون بأن حياتهم المهنية يمكن أن تتعزز بمجرد امتلاكهم تكنولوجيات المعلومات والاتصالات

والوسائط المتعددة (TIC)، بالإضافة إلى مهاراتهم الصحفية ومعرفتهم بالموضوع محل التغطية.أما بخصوص التعليم والتدريب والخبرة في العمل بدول الاتحاد الأوربي الخارجية، فهذا يؤدي إلى النمو المهني والتقدم.فالصحفيين الذين شاركوا في هذه المبادرات هم الأكثر ارتياحاً في كثير من الأحيان مع وظائفهم، وتكون توقعاتهم أكثر إيجابية تجاه المستقبل.

ج/ وسائل الإعلام الاجتماعي غيرت كلياً في شكل وصورة العمل الصحفي الأمريكي.

حيث نرصد في هذاالإطار دراسة كل من Lars Willnat and David H.Weaver،[1] التي أجريت في خريف 2013، والتي تعد محاولة مكملة لسلسلة الدراسات الأولى حول الصحافة الأمريكية، والتي بدأت مطلع السبعينات مع عالم الاجتماع John Johnstone، الذي كان ينشغل بالخلفية التعليمية والمهنية للصحفيين الأمريكيين.

هذه الدراسة توجهت إلى عينة قوامها 1080 صحفي من الولايات المتحدة الأمريكية الذين يعملون في مختلف وسائل الإعلام. حيث تمكنت الدراسة من الوصول إلى عينة 1080 مفردة من أصل 3500 مقترحة (أي ما يعادل 32,06%)، حيث أخذت بالمنهج المقارن، من خلال الاعتماد على خمس فترات مختلفة هي ؛ 1971، 1982، 1992، 2002 بالإضافة إلى فترة إجراء الدراسة 2013، لمحاولة الكشف عن أهم التغيرات التي طرأت على بيئة العمل الإعلامي؛ ومحاولة معرفة تأثير وسائل الإعلام الاجتماعي على الصحافة الأمريكية.

هذه الدراسة قدمت جملة من النتائج ذات الطبيعة التشاؤمية في مهنة الصحافة وعمل الصحفيين اليومي، حيث أبان الصحفيين ممن شملتهم الدراسة على أن :

- قاعات التحرير أصبحت أكثرانكماشاً وعدم فاعلية في طرح وإثارة الأخبار.
- الصحفيون الأمريكيون أصبحوا **أكثر سناً** من ذي قبل، حيث أصبح متوسط عمر الصحفي 47 سنة، بعدما كان 37 سنة في 1971، و32 سنة في 1982.
- الصحافة الأمريكية أصبحت تعرف **زيادة قليلة في عدد النساء الصحفيات**، حيث يشكل عددهن 37,5% في سنة 2013، بعدما كان عددهن لا يتجاوز الـــ 20,3% سنة 1971.

[1]Lars Willnat and David H.Weaver, (2014), The American Journalists in the Digital Age, Bloomington, IN: School of Journalism, Indiana University, pp 03 – 25.

• النساء الصحفيات يتجهن إلى **مغادرة المهنة مبكراً**، فمعدل الصحفيات اللواتي لم يتجاوز عمرهن المهني أربع سنوات 49,4%، فيما يشكل معدل الصحفيات اللواتي يتجاوز عمرهن المهني العشرون سنة 33% فقط.

وعلى المستوى التعليمي تفيد الدراسة بأن هناك زيادة ملحوظة في عدد الصحفيين **الأكثر تعليماً وخريجو الكليات**، فبعدما كان معدلهم 58,2% في سنة 1971، و70,1% في 1982، وصل عددهم إلى 92,1% مع عام 2013.

السنة	النسبة
1971	%58,2
1982	%70,1
1992	%82,1
2002	%89,3
2013	%92,1

جدول (01): يوضح أرقام إحصائية حول نسبة الصحفيين الأمريكيين خريجو الجامعة في فترات مختلفة.

ويركز كل من Weaver وWillnat على معرفة الخلفية التعليمية للصحفي الأمريكي، على أساس أن هناك علاقة وثيقة بين ارتفاع المستوى التعليمي بمتغير استخدام وسائط الاتصال الحديثة، حيث يريا أنه كلما كان المستوى التعليمي عال، كلما كان هناك إقبال ومرونة في استهلاك الوسائل التكنولوجية في العمل الإعلامي.

وتؤكد نتائج هذه الدراسة أن "**الانترنت ووسائل الإعلام الاجتماعي** SocialMedia" غيرت كلياً في طرق تجميع الصحفيين للأخبار، وذلك حينما كشف 40% منهم عن أهميتها في عملهم الصحفي، فـ 34,6% من هؤلاء الصحفيين يقضون من 30 دقيقة إلى 60 دقيقة يومياً في مواقع التواصل الاجتماعي. كما يجيب أكثر من نصف العينة 53,8% أنهم يستخدمون المدونات بشكل منتظم، كما هو الحال مع مواقع التواصل الاجتماعي في حصولهم على المعلومات، وتضمينها في قصصهم الإخبارية.

كما كشفت أنماط أخرى من وسائل الإعلام الاجتماعي التي يستخدمها الصحفيون الأمريكيون وإن بأقل انتظام؛ كالمدونات blogs بنسبة 23,6%، مواقع أخرى كالويكيبيديا Wikipedia بنسبة 22,2%، مواقع إذاعية وتلفزيونية كاليوتيوب YouTubeبنسبة 20,2%، مواقع محترفة كلينكدين LinkedIn بنسبة 10,6%، والصحفيون الذين يستخدمون صحافة المواطن citizenblogs بنسبة 07,1%.

وبين الصحفيين من خلال هذه الدراسة أسباب استخداماتهملوسائل الإعلام الاجتماعي فالغالبية تتفق أن السبب الرئيس هو **البقاء في دائرة المعلومة وفضاء المنافسة**، حيث أبانت النتائج أن 78,5% من الصحفيين الأمريكيين يستخدمونها للوقوف على جديد الأخبار، ونسبة 73,1% لمتابعة ماتفعله باقي المؤسسات الإخبارية، ونسبة 59,7% للتفاعل مع الجمهور، 56,2% للحصول على معلومات إضافية، 24,7% للتأكد من صحة المعلومة، 21,9% للالتقاء بأشخاص جدد في المهنة، و 20% لمقابلة مصادر الأخبار... و05,1% لأسباب أخرى وراء استخدام هذه الوسائل الجديدة.

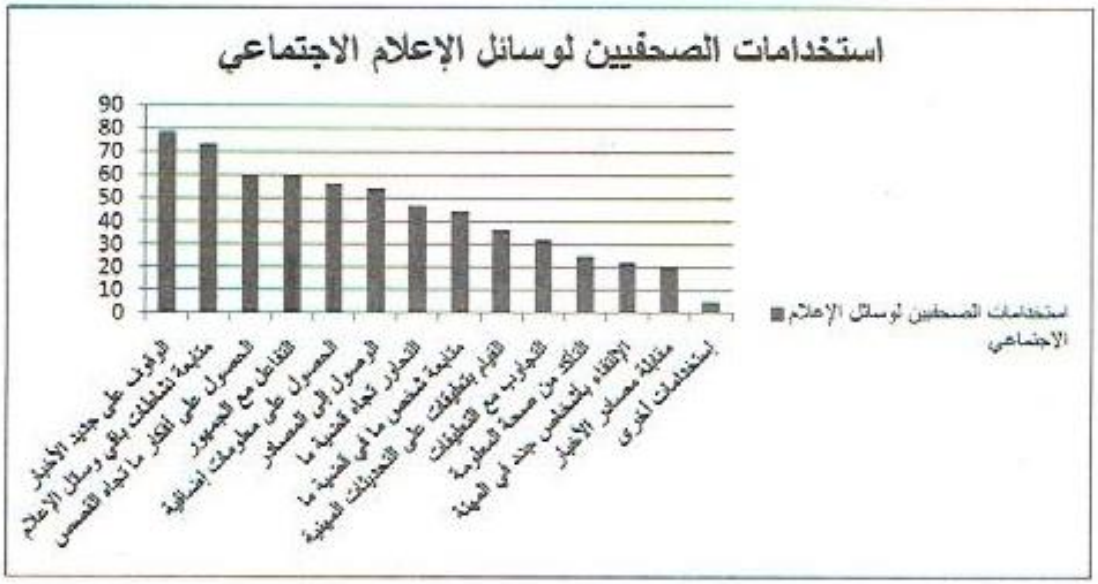

رسم بياني رقم (01): يوضح الاستخدامات المختلفة لوسائل الإعلام الاجتماعي عند الصحفيين الأمريكيين.

يتبين من خلال النتائج المتوصل إليها أيضاً، أن هناك **تأثير لوسائل الإعلام الاجتماعي على العمل الصحفي** ؛ فقد أجمع غالبية الصحفيين الأمريكيين بنسبة 80,3%، على أن هذه الوسائل ساعدت على تطوير أنفسهم وتعزيز عملهم الصحفي. وأن 69,2% أصبحوا أكثر انشغالاً بجماهيرهم. وأن 29,7% منهم يؤكدون على أنها ساهمت في تعزيز مصداقيتهم المهنية. وكذا نسبة 25%التي تؤكد على أن هذهالوسائل ساعدتهم في تحسين مستوى إنتاجيتهم.

رسم بياني رقم (02): يوضح تأثير وسائل الإعلام الاجتماعي على العمل الصحفي.

لكن ورغم هذه الأرقام الإحصائية، فإن الدراسة تكشف عن تناقض كبير، حين تُسجل في نتائجها :

- تراجع مقدرة الصحفيين في الحصول على المعلومة وتقديمها في أسرع وقت ممكن للجمهور.
- تراجع مستمر في فرص وصول الصحفيينإلى أوسع شريحة من الجمهور.

هذا التناقض يزداد أكثر خصوصاً مع أدبيات البحث الإعلامي، والذي تتفق الكتابات في شأنه على أن الوسائط التكنولوجية بما فيها مواقع التواصل الاجتماعي قد مكنت الصحفيين من الحصول على المعلومة بشكل أسرع من جهة.ومن جهة ثانية ساعدت هؤلاء في الوصول إلى الجمهور العريض،كما وسعت من فرص تبادل الأفكار والآراء والردود حيال القضايا والأحداث من جهة ثانية.

خلاصة البحث :

في ختام هذا البحث لا بد من التأكيد على أن هناك عمل بحثي لابأس به على مستوى دراسة "رجال الإعلام" في السنوات الأخيرة، ومع هذا لا بد من الإقرار بأن التراكم المعرفي فيما يتعلقبالدراسات السوسيولوجية حول هؤلاء، يبقى يشكو نقصاً بحثياً ملحوظاًوهذا النقص المسجل يعمق في فهمنا "غير الكاف" لصورة الصحفي، مفهومه للعمل ودوره في المجتمع... ومن ثمة في فهمنا للظاهرة الصحفية برُمتها. فعدم إلمامنا الكاف بالواقع الاجتماعي والمعيشي والثقافي لمختلف الجماعات التي تسهم في صيرورة العملية الإعلامية، من شأنه أن يصعب فيما بعد من مسألة فهم واستيعاب "المردود المهني"، بمعنى أخر يصعب فهمنالاستراتيجيات وآليات "ترجمة الحدث الجاري" بطريقة معينة دون أخرى. وهذا ما أشار إليه Lazar حينما دلل بالحاجة إلى فهم "مَنشأ الصحفي" في قوله:

"إذا كان الاهتمام مرتكزاً بالدرجة الأولى على الأصل الاجتماعي والثقافي للمُرسلين، فلأن ذلك يرجع إلى إجماع مفاده أن المحيط الأصلي الذي نشأ فيه الصحفي يؤثر بدرجة دالة على الطريقة التي يرى بها المحيط فيما بعد"

المستخلص أيضاً من البحث، أنه ومن خلال كل الدراسات التي قمنا بعرضها، يتبين أن تجميع البيانات السوسيو ديموغرافية للصحفيين من السن والجنس إلى المستوى التعليمي وصولاً إلى مكان السكن ونمط المعيشة، تعد خطوة أساسية ومفصلية في مسار التقصي السوسيولوجي، بمعنى أن **المنطلق واحد، فيما الانشغال البحثي متعدد** ؛ فتوجه الباحثين اليوم نحو مواضيع النخبة الصحفية، امتلاك الصحفي للـ "TIC"وعلاقته بالثقة والمردودية المهنية، تأثير وسائل الإعلام الاجتماعي على العمل الصحفي... وغيرها من الإشكالياتالبحثية، ضرورة فرضها تطور الأداء الصحفي واحترافية المهنيين من جهة، ومن جهة ثانية التقدم التكنولوجي والرقمي الذي مس قوام الصناعة الإعلامية في العمق.

إن للمقاربة الاجتماعية في دراسات الاتصال وما تتيحه من موجهات تصورية وتحليلية وتفسيرية، قيمة معرفية هامة في كثير من الأحايين ؛ ففهم الخط السياسي لصحيفة ما، أو تتبع التحرير الفني لخبر ما، أو محاولة معرفة مصادر تمويل مؤسسة ما...كلها معطيات قد لا تكون كافية أحياناً للإجابة على تساؤل بسيط: لماذا ترجم الصحفي هذا الحدث بهذه الطريقة، دون أخرى ؟... إنه لا يمكن فهم حقيقة الصناعة الإعلامية اليوم، ما لم يكن هنالك اهتمام علمي جاد ومتواصل لفهم رجال الإعلام، هؤلاء الذين يرسمون واقعاً متقلباً، ويمارسون مهنة شاقة في محيط معقد و يزداد تعقيداً.

قائمة المراجع

أولاً: قائمة الكتب العربية والمعرَّبة :

1. أرمان وميشال ماتلار (أكتوبر 2005)، **تاريخ نظريات الاتصال**، (ترجمة: نصر الدين العياضي والصادق رابح)، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
2. جيهان رشتي، (1978)، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**، دار الفكر العربي، القاهرة.
3. عواطف عبد الرحمان، ليلى عبد المجيد ونجوى كامل، (1992)، **القائم بالاتصال في الصحافة المصرية**، كلية الإعلام، قسم الصحافة، سلسلة دراسات صحفية، مطابع كلية الإعلام، القاهرة.
4. محمد عبد الحميد، (2004)، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، ط 3، عالم الكتب، القاهرة.
5. محمد قيراط، (2006) **قضايا إعلامية معاصرة**، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة.
6. مي عبد الله، (2006) **نظريات الاتصال**، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت.
7. لجي ميلور، (2012) **الصحافة العربية الحديثة، المشكلات والتوقعات**، (ترجمة: منذر محمود محمد)، ط 1، العبيكان للنشر، الأردن.

ثانياً: قائمة المقالات والدوريات:

8. أمال كمال (1991)، **التوجه المهني لدى القائم بالاتصال**، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد 30، العددين 02 و03، القاهرة.
9. جوديث لازار، (2003) علم اجتماع المرسلين، (ترجمة: رضوان بوجمعة)، **الوسيط في الدراسات الجامعية**، ج 2، الجزائر.
10. شارلز ويتني، (جانفي – جوان 1997)، (دراسات المبلغ الجماهيري، التشابه والاختلاف ومستوى التحليل)، ترجمة: سعيد بومعيزة، **المجلة الجزائرية للاتصال**، العدد 15، الجزائر.
11. عبد الرحمان عزي، (مارس 1988)، (مسألية البحث عن منهجية بحث، إعادة النظر في نموذج لاسويل)، **المجلة الجزائرية للاتصال**، العدد 03، الجزائر.
12. محمد قيراط، (مارس 1989) (أهمية رجل الإعلام في عملية الاتصال والحاجة إلى دراسته)، **المجلة الجزائرية للاتصال**، العدد 03، الجزائر.

ثالثاً: قائمة الكتب باللغات الأجنبية:

13. Bernard Miege(1995), La pensee communicationnelle, Pug, Grenoble, France.
14. Cyril Lemieux, (2000), Mauvaise presse. Une sociologie compréhensive du travail journalistique et de ses critiques, Métaillé, Paris, France.
15. Jacob Mollerup (2011),Professional Journalism and Self-Regulation; New Media, Old Dilemmas in South East Europe and Turkey, (on public service broadcasting and ombudsmanship), United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, France.

16. Lars Willnat and David H.Weaver,(2014), The American Journalists in the Digital Age, Bloomington, IN: School of Journalism, Indiana University.
17. Maria SANTOS-SAINZ, (2006),L'élite journalistique et son pouvoir, Éd. Apogée, coll. Médias & nouvelles technologies, Rennes, France.
18. Mohamed Kirat(1993), The Comminicators, A Portrait of Algerian Journalists and thier work, Office des Publications Universitaires, Alger
19. Remy Reiffel,(1984), L'Élite des journalistes, Presses universitaires de France, Paris.
20. Valérie DEVILLARD, Marie-Françoise LAFOSSE, Christine LETEINTURIER, Rémy RIEFFEL, (2001),Les journalistes français à l'aube de l'an 2000. Profils et parcours, Éd. Panthéon Assas, (diffusé par LGDJ, distribué par le Seuil), Paris.

رابعاً: المقالات والتقارير.

1. Commission de la carte d'identité des journalistes professionnels/ CCIJP, (Mai 2009),Photographie de la profession des journalistes, Etude des journalistes détenteurs de la carte de journaliste professionnel de 2000 à 2008, (observatoire des métiers de la presse), France.
2. EconomistiAssociati,(march 2010), The Evaluation Partnership and EuropeanJournalism Centre,Feasibilitystudy for the preparatory action "ERASMUS for journalists", final report - StatisticalReview, European Union.
3. Rémy Rieffel, (1983), (Analyse de l'élite des journalistes, Questions de méthode), Revue française de science politique, n 3, 33e année, France.